

الدرس الثالث عشر

التعليق على أمثال القرآن

الشيخ مشهور بن حسن

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اله وأصحابه أجمعين.

قال المؤلف -رحمه الله-: مثل ضربه الله لنفسه ، قال الله تبارك وتعالى (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

فصل: وأما المثل الثاني فهو مثل ضربه الله سبحانه لنفسه ولما يعبد من دونه أيضا، فالصنم الذي يعبدون من دونه بنزلة رجل أبكم لا يعقل ولا ينطق بل هو أبكم القلب واللسان قد عدم النطق القلبي واللساني ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة ومع هذا فأينما أرسلته لا يأتيك بخير ولا يقضي لك حاجة والله

سبحانه حي قادر متكلم يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم وهذا وصف له
بغاية الكمال والحمد فإن أمره بالعدل وهو الحق يتضمن أنه سبحانه عالم به معلم
له راض به أمر لعباده به محب لأهله لا يأمر بسواه بل ينزه عن ضده الذي هو
الجور والظلم والسفه والباطل بل أمره وشرعه عدل كله وأهل العدل هم أولياؤه
وأحباؤه وهم المجاورة فيه عن يمينه على منابر من نور وأمره بالعدل يتناول الأمر
الشرعي الديني والأمر القدري الكوني وكلاهما عدل لا جور فيه بوجه ما كما في
الحديث الصحيح: (اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في
حكمتك عدل في قضاؤك) فقضاؤه هو أمره الكوني فإنما أمره إذا أراد شيئا فإنما
يقول له كن فيكون فلا يأمر إلا بحق وعدل، وقضاؤه وقدره القائم به حق وعدل
وإن كان في المقضي المقدر ما هو جور وظلم فإن القضاء غير المقضي والقدر غير
المقدر .

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات
أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله ، أما بعد:

فأصل هذا الدين وأسه وأساسه إنما هو التوحيد، فالتوحيد هو أساس هذا الدين،
والدين قائم عليه، والتشريع إنما جاء لتثبيت التوحيد في قلوب الناس، وحتى يبقوا مع

الله سبحانه وتعالى ، والله جل في علاه ذكر الأمثال -وجل الأمثال المذكورة في القرآن إنما هي في ميدان التوحيد-، وهذا مثل منها ، وهذا المثل الثاني -وقد تعرضنا في الدرس الماضي للمثل الأول-.

وهذا المثل هو بيان تفصيلي بعبارات واضحة تخص الناس اللذين هم مخاطبون ابان التنزيل كان عندهم شركاء وكان عندهم عبيد وكان عندهم مملوكين، فضرب الله هذا المثل والذي قبله ليوضح لهم حقيقة، وذلك تطبيق عملي لقول الله سبحانه وتعالى (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) وذلك لترسيخ مسألة مهمة جاء بها الأنبياء جميعًا وهي ما ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) فكل نبي أرسله الله تعالى جاء لبيان أن الله سبحانه وتعالى هو الحق وأن الله سبحانه وتعالى هو الواحد لا شريك له ، فهذه أمثلة مهمة واضحة جلية في بطلان ما يدعى من دون الله سبحانه وتعالى.

وهنا مسألة كلية ومهمة جدا كان ينبغي أن نذكرها في البدايات، ولكنها جاءت وقد ذكرها الله تعالى في سورة النحل قبل هاتين الآيتين قوله سبحانه: (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)، ثم قال سبحانه وتعالى هاتين الآيتين: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ۖ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ

مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ
بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (فذكر المثل الأول
والثاني .

وضرب الأمثال عند العلماء على وجه التحقيق والتدقيق إنما هو من باب الأخبار،
وليس من باب الصفات ، فلو كان ضرب الأمثال من باب الصفات لأولنا كلام الله
تعالى (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) لقلنا الله جل في علاه أمرنا أن لا نحلف إلا به ، فمن
حلف بغير الله فقد أشرك ، وعليه فنقول (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) فالمثل الذي ذكره
الله تعالى لنفسه خاص به ولا يجوز لنا أن ننشئ مثلاً آخر غير المذكور، لأن الأمثال
كالحلف بالله فهي خاصة بما ذكره الله تعالى في كتابه ، والأمر ليس كذلك . إذ أن
الأمثال ليست من باب الصفات وإنما هي من باب الأخبار، ولذا ذكرنا في الدرس
الأول أن الأمثال منها ما يخص العقيدة ومنها ما يخص الأخلاق ، وجل الأمثلة التي
عندنا هي أمثلة تخص العقيدة، وزاد الله فيها في المبنى (في رسم الكلمات) ليعمق فينا
المعنى الذي فيه تأكيد وفيه بيان الحق من الباطل في ضربه سبحانه وتعالى لهذه
الأمثال.

ولذا قول الله سبحانه وتعالى قبل هاتين الآيتين (فلا تضربوا لله الأمثال) لا يمنع أن نضرب مثلاً من عندنا من غير ما ذكر الله سبحانه وتعالى، شريطة أن يكون هذا المثل في أمرين فيما يخص القياس في نوعين دون غيرهما، فالله عز وجل فيما أخبر عن نفسه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فهذه الآية أية جليلة فيها أصل من أصول أهل السنة في بيان توحيد الأسماء والصفات، فلم يقل "ليس مثله شيء" وإن كان المعنى صحيحاً ولكن قال (ليس كمثله شيء) وهذه الكاف كاف التأكيد، فلا يوجد مثل لله تعالى، ولذا قال أهل العلم بأن الأمثال في حق الله سبحانه وتعالى ممنوعة إذا كانت من باب القياس ومن باب المساواة ومن باب المشابهة في حق الله سبحانه وتعالى، وأما المثل الذي يخص قياس العكس ويخص باب الأولى فهذا يجوز في حق الله سبحانه وتعالى، وهذان معلمان كليان وضابطان أصليان ينبغي للأدباء خاصة ممن يحسنون سبك الكلام وإنشاؤه أن يتأملوا شديداً بأنهم إن ضربوا لله مثلاً فإنما يتجنبون قياس المساواة وقياس المشابهة وقياس المثل، فهذا ممنوع، لأن الله جل في علاه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وإن لجأوا للقياس فينبغي أن يلجأوا إلى نوعين من القياس: النوع الأول قياس العكس والنوع الثاني قياس الأولى.

وسياتي ذلك مفصلاً مبيناً في آخر هذا الدرس إن شاء الله من كلام ابن القيم.

ولذا قول أهل العلم المعبر في تفسير قول الله عز وجل (فلا تضربوا لله الأمثال) ما قاله الإمام "أديب أهل السنة" ابن قتيبة المتوفى سنة 276 هـ . -رحمة الله تعالى- في كتابه " تأويل مشكل القرآن "، قال: أي لا تصفوه بصفات غيره ولا تشبهوا به .

بعض الأقسام عندهم إله يجسم ، وإله يمثل، ومن أشهر الفرق الضالة الكافرة التي تشبه الله عز وجل ويعتقدون أن الله تعالى في السماء وأنه رجل كبير ولكن منهم من قال ليس له لحية ومنهم من قال ليس له عورة وإنما الله جل في علاه كسائر الناس إله رجل كبير في السماء وهذا هو معتقد اليهود المدونة في كتبهم وهذه عقيدة الغلاة من الروافض، فهناك فرق من الروافض يعتقدون بأن الله عز وجل كأحدنا (يشبهوه بنا) فقول الله تعالى (فلا تضربوا لله الأمثال) أي لا تشبهوا الله سبحانه وتعالى بصفات البشر، وهذا لا يمنع أن نضرب المثل إذا تخيلنا عن هذا المحذور وأنه يجوز ضرب المثل ، وأن ضرب الأمثال إنما هي من باب الأخبار، وباب الأخبار عند العلماء أوسع من باب الأسماء والصفات، وأن الأسماء والصفات الأصل فيها التوقيف، قال السفاريني: "أسماءه في الحق توقيفية لنا بذا أدلة وفيه".

فالأدلة الوفية من الكتاب والسنة بأن أسماء الله تعالى وصفاته إنما هي توقيفية، فيحرم علينا شرعاً أن نسمي الله تعالى بغير ما سمى نفسه أو سماه به نبيه صلى الله عليه وسلم، وكذلك يحرم علينا أن نصف الله تعالى بصفة ما وردت في كتاب الله ولا في

سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿﴾ فبعد أن نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن كل نقص وعيب يصفه به البشر أثنى على أنبياءه فقال " وسلام على المرسلين " ثم ختم ذلك بقوله " والحمد لله رب العالمين " ، وسر ذكر وسلام الله على المرسلين بعد قوله " سبحان ربك رب العزة عما يصفون " لأن الأنبياء هم أعرف الخلق بالله عز وجل وهم الذين يصفون الله تعالى بما يستحق من أسماء وصفات فيها الجلال والجمال والكمال ، فصفت الله تعالى تدور على الجلال والجمال والكمال، وهذا يلزم أن يكون الله تعالى أحب للمؤمن من كل الخلق ومن كل المخلوقات.

لو أنك سألت أي رجل : ما هو معيارك في تفضيل الناس ؟

لقال لك: أنا أحب الإنسان الفاضل الذي ينتشر خيره للناس ، فنقول له: حب الله أولى على هذا المعيار ، لأن الفضل والخير الذي عند الناس إنما أصله هو الله جل في علاه .

تسأل رجل آخر فيقول لك: أنا أحب الجمال ومعيارى فى الأفضلية هو الجمال . فنقول له: أن الله عز وجل جميل يجب الجمال كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

الحديث: أخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ" قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرٌ الْحَقُّ، وَغَمَطُ النَّاسِ".

فمن أحب الجمال وجعله أصلاً في تقديم المخلوقات كلها فنقول له من باب أولى أن يكون الله تعالى هو أحب الخلق إليك، فالعبد لا يستقيم إيمانه إلا أن يفهم أن الله واحد وأنه أحب شيء إلى قلب الإنسان، والله تعالى على التحقيق والتدقيق عند علماء التوحيد يقولون: كل حب ينبغي أن يكون فرعاً ولا يُحِبُّ أحدٌ لذاته إلا الله جل في علاه، وأما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء وسائر الخلق من الصديقين والشهداء والصالحين والصحابة والتابعين والمرضى ممن أخبرنا الله تعالى عن رضاه عنهم إنما هو حب بالتبع لا بالذات، فالحب للذات محصور في الله عز وجل فقط، وما عداه من حب إنما هو حب بالتبع.

لك شهوة؟ نعم لك شهوة.

تحب زوجتك؟

تحب زوجتك.

زوجتك كتابية؟

نعم أحب زوجتي، زوجتي كتابية نعم يجوز لي أن تكون لي زوجة، لكن حي لها شهوة، والنجس الذي في قلبها من الشرك إذا كانت نصرانية لا توحدها الله وفي قلبها تثليث وإيمانها بغير الله عز وجل أمقته وأبغضه ولا أحبه، لكن أحبها للحاجة وللشهوة، كذلك أبوي لا قدر الله رجل أسلم وأبواه كافران أحبهما؟ نعم أحبها، الحب حب رفق، وحب شفقته وليس حبا نابغاً من ذاته.

أما حبك للمؤمن فكلما سمعت بمؤمن في أقصى المشرق وأنت في أقصى المغرب فكلما علمت صلاحه وعلمه بالله سبحانه وتعالى وشدة تقواه لله زاد حبك إياه. فالله عز وجل قال: {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ} الآية يضرب المثل لمحاولة الإنسان أن يكون شبهةً و مُشَبَّهً به وعلى هيئته ونعته وصفته، فكان تشبيه المثل وتشبيه المساواة في حق الله تعالى ممنوعاً.

هذا أمر مهم جداً فموضوع الأمثال موضوع كما قلت هو أخبار وليس من باب الصفة.

(لا تجعلوا لله أندادا وأمثالا)، وهنا (فَلَا تَضْرِبُوا) الضرب للمثل فيه معنى، الجعل والمعنى (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) أن المشرك يجعل لله الذي يشبهه بخلقه فهذا المقدر هو

الممنوع في الآية ، فإن المشبه المخدول يشبه صفة المخلوق بصفة الخالق، وإذا تشابهت الصفات تشابهت الذوات، وهذا أيضا أصل مهم من أصول التوحيد.

(مشابهة الذوات تقضي بمشابهة الصفات، و مشابهة الصفات لا تقضي بمشابهة الذوات).

خذ صفة أضفها إلى ذوات متعددة، فالصفة معناها على حسب الذات التي تضاف إليه، أما الذات فإذا جعلت الذوات متشابهات فهذا يقضي أن تكون الصفات متشابهة.

(فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) أي لا تشبهوا الله عز وجل بخلقه لا بذاته ولا بصفاته.

خذ معي مثلاً: رأس : خذ رأس جمل، خذ رأس إبرة، خذ رأس إنسان، خذ رأس حمار أجلكم الله، فكل رأس لها معنى، والمعنى على حسب الذات التي تضاف إليه، فاختلاف الصفات لا يقتضي تشابه الذوات، وتشابه الذوات يقتضي تشابه الصفات، و الصفات تختلف على حسب اختلاف الذوات التي تضاف إليها.

فالله عز وجل في هذا المثل وهو المثل الثاني قال الله عز وجل: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ" هذا المثل كالمثل الأول كان الأول فيه موازنة بين عبد مملوك لا يقدر على

شيء، وآخر حر قوي قد رزقه الله تعالى وينفع الناس بما رزقه الله تعالى يعطيهم سرا
وجها على حسب ما يرى من إصلاح أحوال الناس، وهذا المثل فيه موازنة أيضا بين
رجلين آخرين (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ)، أحدهما عاجز لا يَقْدِرُ عَلَى
شَيْءٍ وَهُوَ فِي حَيَاتِهِ كُلِّ عَلَى مَوْلَاهُ : (قريبه، على سيده على أبيه على من كان
قريبه) كَلَّ مِنَ الْعَجْزِ ، (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ
وَهُوَ كُلِّ عَلَى مَوْلَاهُ* ، لا يقدر على شيء وهو في حياته كُلِّ على قريبه أي لا
نفع له.

وأخر قال عنه (هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ)، الآخر مستقيم، واستقامته في
ذاته، في عقله، في نفسه، وتظهر لها آثار على غيره، فغيره محكوم بأمره، وأمره عدل
كله، قال: وآخر قادر في عقله مستقيم في خلقه عادل في ذاته، فبين حال الرجلين
موازنة بينهم، فقال: (أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ) ، أحدهم أبكم: أي أخرس لا يستطيع أن ينطق
فلا يجب إذا دعاه الداعي، والأخرس في أغلب الأحوال ناقص في مداركه؛ لأنه قد
سدت عليه مسالك العلم ولا يحس بمعنى الأشياء، الأخرس يفقد النطق، والنطق
مهم، حتى عَرَفُوا الْإِنْسَانَ بأنه حيوان ناطق، علماء الفلسفة يعرفون الإنسان فيقولون
(الإنسان حيوان ناطق) تعريف ناقص، التعريف الحضاري للإنسان في كلام الحسن
البصري، التعريف الحضاري الذي يتصف به البشر في تعريف الإنسان كما في قول

الحسن البصري: (يا ابن آدم إنما أنت أيام ، فإذا ذهب يومٌ ذهب بعضك)، هذا التعريف الحضاري، فهذا الإنسان الأخرس (الأبكم) لا يستطيع أن يبين هواجسه ولا يبين خواطره ولا يحس بما حوله على وجه الإدراك التام، ففقد مجلس الأُنس ولا يستطيع أن يجلب لنفسه خيراً، فاقد كل شيء، هذا المشبه، المشبه به (وهو كل على مولاه) فقير على الناس، مرض ، كل على مولاه، هذا حال الشخص، و شخص آخر هذا حال من لا ينفع الناس وهو ناقص ، ضرب المثل الذي قال الله فيه {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ} به إلحاق الناقص من كل وجه بالكامل من كل وجه، قال الله عز وجل: {هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}. (هَلْ يَسْتَوِي) هذا الاستفهام للإنكار ، استفهام إنكاري، فهو نفي مؤكد الوقوع، لا يمكن لعاقل أن يسوي هذا الرجل بذاك الرجل، فكأنه سأل السائل و جواب هذا السؤال ظاهر، "هَلْ يَسْتَوِي" سؤال كافي يتضمن النتيجة والجواب.

وكان الرجل الثاني الذي ينفي المقابلة بينه وبين الأول قد اتصف بصفتين جليلتين، وهاتان الصفتان الجليلتان عليهما مدار السمو والكمال.

الصفة الأولى: يأمر بالعدل ، ولا يأمر بالعدل إلا من كان عادلاً، والعدل صفة في النفس وهي صفة من صفات الفضائل.

فالعدل يزكي النفس وينميها ويجمع الفضائل كلها، وحيث وجد العدل وجد الاعتدال ووجد الصدق والقدرة على الصبر والتحكم في النفس، وعدم الاستجابة للانفعالات، فهذه صفات العدل ، لذا أمر الله عز وجل نبيه مُحَمَّد ﷺ بقوله { فَلِذَلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ

كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } . (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) هذه مهمة أساسية و أصلية للنبي ﷺ

للخلق كلهم، للسابقين وللمخلفين وللمقصرين و للكافرين وللمنافقين، (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ) تشمل جميع الأعمال، الأعمال الصالحة بالظاهر و الباطن النفاق، الأعمال المعدومة التي لا يوازيها أعمال المؤمنين، والأعمال التي فيها تخليط والتي فيها سبر، (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ) . ما دمت عادل وقلت أن أعدل بينكم لا حجة بيننا وبينكم ، الله هو الذي يجمع بيننا وإليه المصير .

و يتضمن كذلك العدل بالآية وهو من يأمر بالعدل (المسؤولية) فلا بد له أن يعدل،

ولذا الله جل في علاه أمره كله عدل، فله سبحانه وتعالى الحكم والأمر ، و كما

ذكرنا في (كتاب التجريد) له الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، فالإرادة الشرعية

مدارها على العدل والإرادة الكونية مدارها على العدل، ولذا كان العادلون ممن يحبهم

الله سبحانه وتعالى وكانوا في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وكانوا أيضا على يمينه

وعلى شماله يوم القيامة، فالله يحب العدل و يحب من يأمر بالعدل، لذا ذكر حال الإنسان الأبكم الذي لا يقدر على شيء كل على مولاه وجعل في مقابله وهو العجز من كل وجه، وذكر في مقابله الإنسان الذي يأمر بالعدل، فأوامره سبحانه وتعالى كلها عدل وقضاءه وقدره في أفعاله كلها عدل، لكن إن سقطت في الآثار العملية عليها قد يشعر الإنسان أن فيها شر.

(اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حُكْمك عدلٌ فيَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته لأحد من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبي وجلاء حزني وذهاب همي وغمي). (عدل فيَّ قضاؤك)، فالله عز وجل يتصف بالعدل في كل شيء، لذا ذكر الإمام الشارح رحمه الله فقال: أهل العدل هم أوليائه وأحبائه وهم مجاورون له، هم مجاورون لله هم عن يمينه وعن شماله، وفي هذا حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن المقيسطين عند الله عز وجل على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا). فلذا من يأمر بالعدل هذه صفات من كمال الإنسان، هذه الصفة الأولى، الصفة الثانية، قال الله عز وجل: (وهو على صراط مستقيم)، هذا المثل الرجلين والرجل الثاني، -انتبهوا- أن القياس في حق الله قياس العكس، فضرب الله مثلين حتى يُبين أن البشر في ما

بينهم لا يتساوون، فكيف أنتم تلحقون لله شركاء له سبحانه وتعالى، إذا أنتم يا أيها
البشر مجبولون على النقص ففيكم تمايز فكيف تُلحقون الأصنام والشركاء بالله
سبحانه وتعالى؟

هذا ظلم.

فهذا المثل معانيه طويلة مبانيه كثيرة للبيان والتوضيح والتقريب لشناعة الإلحاق بغير الله
عز وجل.

قال الإمام ابن القيم: ((فهذه وأمثالها من الأمثال التي ضربها رسول الله صلى الله عليه
وسلم لتقريب المراد، وتفهم المعنى، وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه
بصورة المثل الذي مثل به، فإنه قد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه
واستحضاره له باستحضار نظيره، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام،
وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير، ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها
وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد، ولا ينكره، وكلما ظهرت
لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى المراد، ومزكية له،
فهي { كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه }، وهي خاصة العقل
ولبه وثمرته.

خطاب عقلي ، الأمثلة فيها زيادات المبنى حتى يقع فيها الوضوح والبيان وحتى يرسخ في النفس وفي العقل شناعة وبشاعة ما يصنعه المشركون الذين لا يُوحّدون الله والذين يشركون بالله سبحانه وتعالى غيره معه.

الله جل في علاه في أفعاله وصفاته كلها عدل، كلها جلال، كلها جمال، كلها كمال، لكن الله حكم فالقدر غير المقدّر والأمر غير المأمور، فالمأمور قد يكون ثقيلًا على بعض الناس، يعني الآن أنا أذكر لكم سؤالاً: هل الله حكمة من خلق الشيطان؟ طيب الشيطان لما أصبح موجوداً، الشيطان كما قال في آخر كلامه، قال: وإن كان في المقضي المقدّر جور وظلم فالمقضي غير القضاء. طبعاً الله عز وجل حكمة في خلق الشيطان وحكمه كثيرة في خلق الشيطان. الله الذي خلق الملائكة خير محض، والشياطين شر محض، البشر فيهم خير وشر ، لئيبين لك كمال قدرته، لتظهر آثار أسمائه، وإلا كيف نفهم أن الله عز وجل مُنتقم، وكيف نفهم أن الله غفور أن الله رحيم لو لم يكن يوجد شيطان، كيف نفهم قدرة الله وعقابه للأقوام وكيف أنه أخذهم سبحانه وتعالى، فالقدر خير كله ، والمقدّر الذي وقع فيه شر، ولكن الشر لا يلحق الله عز وجل وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم لما قال: والشر ليس إليك، الشر ليس لله عز وجل أبداً، فالله إن فعل شيئاً فإنما يفعله لتمام علمه وقدرته وحكمته سبحانه وتعالى.

الصفة الثانية: صفة العدل قال: (وهو على صراط مستقيم).

في قوله سبحانه: (وهو على صراط مستقيم) إشارات مهمة جداً تحتاج منا إلى وقفة، قال: (هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم). الجملة أسمية (وهو على صراط مستقيم) وليست فعلية، وهذه قاعدة ، "إذا قرأت القرآن كله الجملة الأسمية تمتاز عن الجملة الفعلية بالثبات والبقاء، والجملة الفعلية ليس فيها ثبات وبقاء". الفرق بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية، الجملة الفعلية مختصة بفعل والفعل له زمن. فالجملة الاسمية تفيد الثبات والبقاء والجملة الفعلية لا تفيد البقاء والثبات. فقال الله عز وجل: (وهو على صراط مستقيم). كيف ما قلبت حال هذا الرجل الثاني هو دائماً على صراط مستقيم. لذا ابن القيم يقول المثل الثاني على وجه التمام والكمال، ولذا قال الله: ضرب الله مثلاً رجلين. قال فذكر العدل والأمر بالعدل {وهو على صراط مستقيم} وكذلك: {إن ربي على صراط مستقيم} في سورة هود وتأتينا هذه الآية مفصلة لاحقاً بإذن الله تعالى.

انظر أيضاً في قول الله عز وجل: (وهو على صراط مستقيم). كأنه راكب على الصراط المستقيم ، وركوبه على الصراط المستقيم يُدلل على تمكنه من الصراط المستقيم وأنه لا يمكن أن يفعل شيئاً إلا أن يكون على استقامة، (على صراط مستقيم)، عبّر عن الصراط بقوله مستقيم، وهو الذي نقرأه في سورة الفاتحة: (اهدنا الصراط

المستقيم)، والصراط غير الطريق ، وغير السبيل، الأنبياء كما ذكر الله عز وجل في
أواخر سورة يوسف: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله}. السبيل: الطريق المسلك.
الصراط: السبيل وزيادة، وذكرت لكم أن الصراط مأخوذ من سطر، والعرب تقول في
أمثلتها: لا تكن حلواً فتُستترط ولا تكن مُرّاً فتُتلفظ. تُستترط: تُبلغ. وتُسمى الصراط
بالصراط لأنه يبلع الخلق كلهم، ويشمل كل سبيل موصل إلى الله عز وجل سواء فعله
الناس ممن هم بين ظهرائهم أو هجروه، ولكن عُلِمَ أنه مما يحبه الله فهو على صراط
مستقيم. فجميع السنن المهجورة أنت تسأل ربك إياها بقولك: (اهدنا الصراط
المستقيم). ما تقول: اهدنا السبيل، بخلاف أهل النار كما قال الله عز وجل في أواخر
سورة النساء: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا
طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا). أهل النار طريق، الطريق
موصل وغير موصل، الصراط موصل، والطريق لا يلزم أن يكون طريقاً واحداً ، لك
أن تقول أن لبيتي عشرة طرق، السبيل واحد، والصراط واحد، لكن الطريق الدلالة
للوصول إلى ما تريد إذا كان لك بيت وله أكثر من طريق للوصول إلى بيتك ماذا
تقول؟ سبيل ولا تقول صراط، تقول طريق في حال التعدد تقول طريق، طريقاً طريق
جهنم. طرق جهنم كثيرة منها ما يخص العباد، أهل البدع يعبدون الله (وجوه يومئذ
خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية) عُبَاد زُهَاد يتركون التمتع بالحلال يتركون
التمتع بالنساء ويظهرون أنفسهم السيخ والرهبان والبوذيين من النصارى طريق من

طرق جهنم. وقد يكون شهوات والشهوات لا حد لها ولا حصي طريق، جهنم ليس لها سبيل وليس لها صراط، جهنم لها طرق، وأبشع هذه الطرق أن تكون في الدين واسم الدين فيكون هذا دين محرّف ويكون هذا الدين مُزَيّف، من عبارات تقي الدين الهلالي التي كان يرددها في نقاشه مع النصارى كان يقول لهم لما يحتجوا على المسلمين بالدين المزيف، الكفار يعرفون واقع المسلمين وأضعف شيء نحن في نظرهم سوءنا، فكان يقول لهم: الإلحاد خير من الدين المحرّف، الدين المحرّف عقبة كبيرة، لذا أجمع العقلاء من الغربيين أن خير سبيل لحرق الإسلام إنما هو نشر الدين المزيف، إذا نشرت الدين المزيف ما قامت للمسلمين قائمة، أنشر دين مزيف هو عندهم دين، ثم أنت الآن تصرخ تقول هذا باطل هذا ليس من دين الله تبقى ضعيفاً، لأنه يدينك بفعلك ويدينك بما هو منسوب إليك ومنسوب زوراً وبهتاناً، هو على التحقيق ليس بدين، ولذا قال الله عز وجل: {يأمر بالعدل} أي مُتمكن على، متمكن من الصراط والصراط مستقيم، صراط واسع لاحب؛ كل ما يحبه الله جل في علاه وكل ما هو محبوب عند الله هو داخل في الصراط، سواءً فعله الناس أو هجره الناس، فهو على الصراط، والصراط كما قلت يمنع الخلق كلهم من آدم إلى قيام الساعة، هذا الصراط جزء منه سبيل وجزء منه سبيل وصراط، قد يكون صراط أمس سبيل اليوم، وقد يكون السبيل أمس صراط اليوم، بمعنى أن السبيل جزء من الصراط، والسبيل طريق معبد وفيه كهباء ومرتب ومنظم والسيارات تذهب وتأتي وتمشي فيه الناس؛ وقسم

مهجور، المهجور قد يصبح سالك والسالك قد يصبح مهجوراً، والسعيد هو من علق قلبه وجعل مبدأه هو ما ثبت في الشرع، فهو يسأل الله الصراط المستقيم، ينبغي لكل مسلم أن يتأمل كثيراً في جلوته وفي خلوته وفي مذاكراته مع إخوانه أن يتأمل شديداً وكثيراً السر في قوله: {اهدنا الصراط المستقيم}، طبعاً بعد أن تقول اهدنا الصراط المستقيم تُثني على الله أحسن الثناء إلى آخره، لكن المطلوب أن تقول: {اهدنا الصراط} لماذا الصراط؟ هذه مهمة جداً {اهدنا الصراط المستقيم}، فهذا الصراط مستقيم لا اعوجاج فيه ولا التواء وهو أقرب طريق موصل إلى الهدف الذي تريد.

فالمثل هذا شبيهه بالمثل السابق، فضرب حال العباد المشركين ووجود شريك مع الله عز وجل بحال من يُسوي بين الرجلين، وهذان الرجلان بينهما تمام التباين، فيُسوي مثلاً بين عبادة الله -عز وجل- وعبادة الأحجار، فحال هؤلاء كمن يسوي بين رجل ناقص الإنسانية، ناقص في خصاله وفعاله وحال آخر كامل الكمال البشري في خصاله وفعاله، ولذا ضرب الله هذا المثل في قياس عكسي، وقلت لكم أن قياس العكس من القياس الذي يجوز ضرب المثل به.

قال الإمام ابن القيم في مفتاح دار السعادة: (الرَّبُّ تعالى لا يَدْخُلُ مع خَلْقِهِ في قياسٍ تمثيلٍ، ولا قياسٍ شمولٍ يستوي أفرادُه، فهذان النوعان من القياسِ يَسْتَحِيلُ ثبوتُهُما في حَقِّه، وأمَّا قياسُ الأولى فهو غيرُ مُستحيلٍ في حَقِّه، بل هو واجبٌ له، وهو مُستعملٌ

في حَقِّهِ عَقْلًا وَنَقْلًا؛ أَمَّا الْعَقْلُ فَكَاسْتِدْلَالِنَا عَلَى أَنَّ مُعْطِيَ الْكَمَالِ أَحَقُّ بِالْكَمَالِ،
فَمَنْ جَعَلَ غَيْرَهُ سَمِيعًا بَصِيرًا عَالِمًا مَتَكَلِّمًا حَيًّا حَكِيمًا قَادِرًا مَرِيدًا رَحِيمًا مُحْسِنًا، فَهُوَ
أَوْلَى بِذَلِكَ وَأَحَقُّ مِنْهُ، وَيُثْبِتُ لَهُ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ أَكْمَلُهَا وَأَتْمُّهَا.

فَنَحْنُ نُنَزِّهُهُ اللَّهُ -عز وجل- عَلَى إِطْلَاقِ عِبَارَةِ الْفَلَاسِفَةِ، الْفَلَاسِفَةُ يَقُولُونَ عَنِ اللَّهِ:
(كَمَالُ الْمَعْلُولِ مُسْتَفَادٌ مِنْ كَمَالِ عِلَّتِهِ)، وَيَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ: (كُلُّ كَمَالٍ ثَبَّتَ
لِلْمَخْلُوقِ غَيْرِ مُسْتَلْزِمٍ لِلنَّقْصِ فَخَالِقُهُ وَمُعْطِيهِ أَحَقُّ بِالِاتِّصَافِ بِهِ، وَكُلُّ نَقْصٍ فِي
الْمَخْلُوقِ فَالْخَالِقُ أَحَقُّ بِالتَّنْزِهِ عَنْهُ كَالْكَذِبِ وَالظُّلْمِ وَالسَّفْهَةِ وَالْعَبْثِ، بَلْ يَجِبُ تَنْزِيهِ
الرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عَنِ النِّقَائِصِ وَالْعِيُوبِ مَطْلَقًا، وَبِهَذَا وَنَحْوِهِ ضَرَبَ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
فِي الْقُرْآنِ وَذَكَرَ الْعُقُولَ وَنَبَهَهَا وَأَرْشَدَهَا كَقَوْلِهِ: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ
مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا}.

هَذَا الْمَثَلُ يَأْتِينَا قَرِيبًا أَيْضًا وَلَنَا مَعَهُ كَلِمَةٌ، فَهَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ يَتَضَمَّنُ (قِيَاسَ الْأَوْلَى)،
مَا هُوَ قِيَاسُ الْأَوْلَى؟

قَلْنَا كَمْ رُكْنٌ لِلْقِيَاسِ -ذَكَرْنَا فِي الدَّرْسِ الْمَاضِي-؟

الْجَوَابُ: أَرْبَعَةٌ، وَهِيَ: أَصْلٌ، فَرْعٌ، عِلَّةٌ، وَسَرِيانُ الْعِلَّةِ مِنَ الْأَصْلِ إِلَى الْفَرْعِ؛ قَدْ تَكُونُ
الْعِلَّةُ أَظْهَرَ مِنْهَا فِي الْفَرْعِ مِنْهَا فِي الْأَصْلِ، فَإِذَا كَانَتِ الْعِلَّةُ أَظْهَرَ فَهَذَا يُسَمَّى: (قِيَاسَ
الْأَوْلَى) وَالَّذِي يُسَمِّيهِ الشَّافِعِيُّ فِي كِتَابِهِ الرِّسَالَةَ (قِيَاسَ الْجَلِيِّ)، وَيُثْبِتُ قِيَاسَ الْجَلِيِّ

مُنكِرُو القياس، الذين يُنكرون القياس وهم (الظاهرية) يُثبتون قياس الجلي، مثال:

{ فلا تقل لهما أفٍ } قول أف حرام، حسناً، هل يجوز ضربهما؟ إذاً هل يجوز أن نقول أن ضرب الوالدين حرام بدلالة قوله تعالى: { فلا تقل لهما أفٍ } وهي دلالة أولى؟ الجواب: طبعاً، إذا كان ممنوع تقل لهما أف، فالضرب لا يجوز من باب أولى؛ مثال آخر قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا }، إذا كان الأكل من مال اليتيم ظلماً حرام، فهل تجوز سرقة مال اليتيم؟ كان قديماً الإنسان يكون وصي على اليتيم، والوصي الفقير له أن يأكل بالمعروف، كأن يكون عندي يتيم وأنا وصي عليه وهذا اليتيم له أموال، ممكن اليتيم أن يكون له أموال؟، ممكن، كأن يكون رجلاً غنياً توفي وليس له إلا ولد، والعم أصبح وصياً على الولد والعم فقير، فالعم إن كان غنياً لا يأكل، وإن كان فقيراً فليأكل بالمعروف، فمن يظلم في الأكل فهذا يأكل في بطنه ناراً { إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا }، إذاً هل يجوز الاعتداء على مال اليتيم بغير الأكل كالسرقة؟ الجواب: هذا حرام من باب أولى، إذا كان الأكل ظلماً حرام فالسرقة والاختلاس من مال اليتيم حرام من باب أولى.

{ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا }
يقول ابن القيم: (فهذا مثل ضربه الله يتضمن قياس الأولى في حقه، يعني إذا كان

المملوك له مُلّاك مشتركون فيه وهم متنازعون ومملوك آخر له مالك واحد، فهل يكون هذا وهذا سواء؟) : واحد فيه شركاء متشاكسون : مختلفون يملكونه.

وهنا أيضاً نحتاج إلى كلمة فيها شيء من التفصيل، العلماء لما يذكرون أحكام العبيد يقولون: (هم أقرب منهم للمتاع من كونهم آدميين)، فقد يكون عبد واحد له أكثر من مالك، وقد يشترك اثنين في مجموعة من العبيد، ويجعلون تجارة بينهما، فالرجل فيه شركاء متشاكسون، وعبدٌ آخر له مالك واحد وليس فيه شركاء متشاكسون، هل يستويان مثلاً؟ يقول ابن القيم: (فإذا كان هذا ليس عندكم كمن له رب واحد ومالك واحد، فكيف ترضون أن تجعلوا لأنفسكم آلهة متعددة تجعلون لله فيها شركاء تحبونها كما تحبونه وتخافونها كما تخافونه وترجونها كما ترجونه؟).

يقول ابن القيم: (كذلك { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ }، يعني أن أحدكم لا يرضى أن تكون له بنت، فكيف تجعلون لله ما لا ترضون لأنفسكم؟)، فقياس الأولى جائز، وقياس العكس أو القلب جائز، وأما قياس المثل والمشاهدة فغير جائز.

أخيراً، سألني بعض النبلاء والفضلاء ممن يفهمون ما نقول فهماً جيداً عن قياس العكس ومفهوم المخالفة، هل بينهما صلة وهل يلحق مفهوم المخالفة بقياس العكس؟

الجواب: لا، فقياس العكس هو إعطاء الفرع نقيض حكم الأصل لوجود علة مخصوصة فيها مخالفة بين علة الأصل وعلة الفرع؛ أما المخالفة فهي أن يكون المسكوت عنه مخالفاً للمنطوق في الحكم.

في عندنا شيء مسكوت عنه وعندنا شيء منصوص عليه، ويكون في حكم المسكوت عنه غير حكم المنطوق عنه، ومفهوم المخالفة تدرج تحته أصناف كثيرة منها الغاية ومنها الصفة ومنها غير ذلك، فمثلاً الله - عز وجل - يقول: { وَرَبِّبُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ أَلَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ } .

من هي الربيبة؟

الجواب: بنت الزوجة، أن تتزوج امرأة لها بنت، الله يقول { وَرَبِّبُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ أَلَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ } ، النساء اللاتي دخلتم بهن، قال العلماء بناء على قاعدة مهمة تُفيد كل طالب علم، ولها تطبيقات لا أول لها ولا آخر، وهي مما يُعرف بالبديهة: (ما أطلقه الله أطلقناه وما قيده قيّدناه، ما أطلقه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أطلقناه وما قيده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قيّدناه)، لذا قال العلماء: (الدخول بالأمهات يُحرّم البنات).

من أين قالوا هذا؟

الجواب: من الآية {الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ}، والله قال في سورة النساء: {وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ} فالعقد على البنات يُحَرِّمُ الأمهات، إذا عقدت على بنت لك أن تُقْبِلَ أمها ولك أن تلمسها - طبعاً من غير شهوة - لأنها أصبحت مُحَرَّمَةً عليك للأبد، يعني واحد كتب كتابه - بتعبيرنا الدارج - ثم طَلَّقَ، حماته الأولى تبقى مُحَرَّمَةً عليه إلى يوم الدين بمجرد أن كتب كتابه.

قالوا: (الدخول بالأمهات يُحَرِّمُ البنات)، من أين جاؤوا بهذا؟

الجواب: من {الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ}.

وقوله: {وَرَبِّبِكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ} هذه مسألة تحتاج معنا لشيء من التفصيل حتى نفهم المسألة فهماً دقيقاً .

فأرتب كلامي على وجه دقيق: مفهوم المخالفة معمول به عند جميع الفقهاء في كلام البشر فيما بينهم، وجميع القوانين - بلا استثناء - تعمل بمفهوم المخالفة.

مفهوم المخالفة وقع فيه خلاف بين الفقهاء، فالجماهير يعملون بمفهوم المخالفة والإمام أبو حنيفة فقط لا يعمل بمفهوم المخالفة، والراجح أن مفهوم المخالفة حُجَّةٌ يُعْتَدُّ بِهَا بشرطين، والشرطان موضوعان بمؤاخذات الحنفية، فالحنفية أخذوا على الجمهور فقالوا: (لو أخذتم بمفهوم المخالفة لملتتم الحرام والعكس، فالله قال عن

الأشهر الحُرْم في سورة التوبة {فلا تظلموا فيهن أنفسكم} قالوا أذاً يجوز ظلم النفس في غير الأشهر الحُرْم وهذا حرام)، فالجماهير قالوا حتى نردَّ على هذا:

- الشرط الأول: ألا يقوم مقام مفهوم المخالفة دلالة أقوى من مفهوم المخالفة، دلالة المنطوق وجميع الدلالات الأخرى أقوى من مفهوم المخالفة، وأضعف مفهوم هو مفهوم المخالفة.

نأتي للآية {وَرَبِّبُكُمْ}، الربيبة.

نفترض أنا تزوجت امرأة لها بنت، وابنتها كانت كبيرة ولم تتربى في حجري، فهل يجوز لي أن أتزوجها؟

يقول الله -عز وجل- في الآية: {وَرَبِّبُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ}، بالاعتماد على مفهوم المخالفة يجوز الزواج بها (يحل).

ولكن الجماهير على المذاهب الثلاثة قالوا: (لا نحن نحرم الزواج بها، الربيبة وإن لم تتربى في حجر الزوج يحرم الزواج بها)، وهذا قول الصحابة، ويؤثر عن علي -رضي الله تعالى عنه-، فقال الجمهور عندنا قيد (أو شرط) ثاني.

- الشرط الثاني يوضحه المثل الثاني، قال الله تعالى: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا
الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً}، لو كان الربا ليس أضعافاً مضاعفة كأن يأخذ البنك (4%
أو 5% أو 6%) هل يجوز؟

الجواب: حرام.

فقال الجمهور: (أن مفهوم المخالفة يُعمل به بشرطين:

- الشرط الأول: أن لا يقوم مقام نص آخر، وبالتالي الربا أضعافاً مضاعفة حرام لأن
الله تعالى قال {وَإِنْ تُبْتِغُوا فَالْكُم رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ} سواء كان
أضعافاً مضاعفةً أم لا.

ماذا يعني أضعافاً مضاعفة؟

يقول لك البنك نحن نأخذ أربعة بالمئة خمسة بالمئة ليس أضعاف مضاعفة هل هذا
حلال؟ ليس حلال، حرام ، لماذا قال أضعافاً مضاعفة قال الجمهور مفهوم المخالفة
يعمل به بشرطين الشرط الأول إلا يكون مصادم لنص آخر. وبالتالي الربا أضعافاً
مضاعفة حرام لأن الله قال فإن تبتم فلکم رؤوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون .

الشرط الثاني عند الجمهور قالوا لا يكون القيد قيذا بيانيا بلاغيا، الله يعلمنا أن المرابي لا يقبل بالقليل وإنما يريد أضعافا مضاعفة . وإلا أي زيادة عن المبلغ فهو حرام فهو ربا .

فقوله سبحانه أضعافا مضاعفة قيد بياني .

ما معنى القيد البياني ؟

يعني بيان أن هذا الإنسان لا يشبع فيه جشع فهو ما يجب أن تكون النسبة ستة وعشرة يجب أن تكون أضعافا مضاعفة ، كذلك في قول الله تعالى ربائبكم اللاتي في حجوركم ، قالوا هذا قيد بياني .

ماذا يعني قيد بياني.

قالوا: متى يطمع الرجل في أن يتزوج من امرأة لها أبنه ؟

قالوا إن كانت شابة وأما الكبيرة لا أحد يطمع بها .

وربائبكم اللاتي في حجوركم قالوا قيد بياني يشعر بأن المرأة مرغوب فيها وأنها ما زالت تلد وأنها عندها ابنة وتربت في حجر ، فهو ليس قيد تشريع يعني بمعنى سواء كانت تربت في حجرك واحد يعني تزوجت امرأة ولها ابنة وتربت عند أبيها حرام عليك حرام . حرام عليك . طيب لكن وربائبكم اللاتي حجوركم قيد بياني دخلتم بهن يعني

دخلتم بهن قيد تشريع. وأيضا وربائبكم اللاتي في حجوركم قيد بياني، وهكذا كلما ورد في الشرع في نص ينبغي أن نتقيد به بلفظه، فإن اطلقه الشرع اطلقناه وإن قيده الشرع قيدناه، اذكر لكم شيئاً ذكرته في شرحي لصحيح مسلم، ولعل بعض الناس لا يفهم في الأمور بالتوثيق والتدقيق: الآن خطوات المشي إلى المسجد هي لصاحبها له فيها كل خطوة حسنة، ترفع به درجة ، وتحط عنه خطيئة، هذه الخطوات في الذهاب والإياب أم في الذهاب فقط؟

كل ما قيده الشرع قيدناه وكل ما أطلقه الشرع اطلقناه ، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال من غسل واغتسل ومشى ولم يركب كان له بكل خطوة يخطوها إلى المسجد أجر سنة صيامها وقيامها ، ذهاب وإياب، لكن في الحديث الآخر قال من توضأ ومشى إلى المسجد كان له بكل خطوة يخطوها إلى المسجد حسنة هنا الذي يكتب الذهاب إلى المسجد دون العودة. لأن النبي قال يخطوها إلى المسجد، أما الجمعة قال كل خطوة يخطوها، فالشرع إن قيد شيء قيدناه والشرع إن اطلق شيء اطلقناه، فلا يجوز لنا أن نقيد شيئاً اطلقه الشرع و لا العكس .

فمفهوم المخالفة لا يجوز أن يستخدم في ضرب المثل لله عز وجل، ومفهوم قياس العكس يكون هنالك نقص على علة في الأصل وتكون عكسها في الفرع فيكون حكم الأصل غير حكم الفرع، أما مفهوم المخالفة فيكون المسكوت عن مخالف

للمنطوق عنه. (فكلوا واشربوا) حتى هذه الغائية (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر). فإذا تبين لنا خيط الأبيض من الأسود لا يجوز لنا أن نأكل وأن نشرب.

(كلوا واشربوا) مفهوم منطوق النص الأكل والشرب حتى يتبين لنا الخيط، فإن تبين لنا الخيط فيحرم الأكل والشرب للصائم بمفهوم المخالفة، فهو مسكوت عنه بأن المنطوق به في الحكم جواز الأكل والشرب إلى غاية معينة، فإن تعديناها فليس لنا ذلك .

فيه أمثلة كثيرة جدا يلسنا بصدد الكلام عنها، ولذا زبدت الكلام أنه هذه الأمثلة جاءت للبيان والتوضيح، وجاءت للتشنيع والتبشيع على من اتخذ مع الله عز وجل اندادا ومن عبد مع الله عز وجل غيره فهذه العبادة التي تكون لغير الله عز وجل وأن تساوي المخلوق بالخالق وأن تساوي أي شيء تتخذه مع الله سبحانه وتعالى فهذه مستبشعة ومنكرة في النفوس السوية والعقول الصحيحة والفطر السليمة وفي النصوص الواضحة.

المثل واضح وبين في أن الله عز وجل في علاه أنكر على المخاطبين وفتش على ما في قلوبهم من تعظيم لغيره سبحانه، فكان مآلم النار، وكان صنيعهم شر صنيع يفعله العبد، وأكبر الكبائر أن تجعل لله ندا وهو خالقك.

الأسئلة

س : هل حديث عدل في قضائك صحيح؟

ج: حديث سيد الاستغفار، والحديث صحيح.

س: شيخنا حفظك الله كنت قد وجهت رجلاً من الإخوة السائلين قبل أسبوع لأن

يتعامل مع ابنه على أنه ابن زمانه لا ابن زمان الأب، فكيف يكون ذلك تميع أو

تساوي؟

ج: هذا باب من أبواب التربية.

والتربية أن تعامل الذي تربيته بزمنه لا بزمنك، وهذه تتفاوت وسائل التربية.

نحن الآن ادركنا ونحن صغار حرمة التلفزيون، فتاوى المشايخ حرمة التلفزيون وكنا نتبنى

حرمة التلفزيون، وكنا إن سألنا عن التلفزيون نقول حرام. الان لا معنى أن تقول

التلفزيون حرام والخلوي بين يدن ابنك.

ما معنى تقول التلفزيون حرام والخلوي بين يدي ولدك؟.

الآن كل شخص في الكون له محطة متلفزة بالصوت والصورة.

لكل واحد محطة متلفزة خاصة فيه.

الواتس عبارة عن تلفزيون خاص فيك، صورتك وصوتك.

الآن من وسائل التربية أحسن وسيلة للتربية الحجب.

وقال العرب في المثل في ألسنة الناس الباب الذي يأتيك منه ريح سده واستريح.

ترتاح.

والله لو كان لنا قوة لقلنا يا ليت ما جاءنا الواتس. بل قلنا لشيء آخر زدنا عليه. يا

ريت بقينا فقراء وما عنا بتروول ولا عندنا خيرات وما يطمع فينا الغرب، لكن الأمر

ليس كذلك، الآن واحد يوجه أبنه نقول له ابتعد عن ابنك وابتعد عنه كل الوسائل ،

ما تستطيع، أنت تحتاج أن ترسخ التقوى في قلبه وأن تربيه على أن الله يراقبه في سره

وعلمه في جلوته وخلوته، فالتركيز على الوسيلة يختلف من وقت لوقت، فهذا ليس

تميع، فأنت ينبغي أن تركز على الوسائل وعلى حال الإنسان في وقته .

لذا أنا كان كلامي أنه ابني مثلا يفعل كما يقول الأخ السائل فيما أذكر يعني يسألني

عن الاستمنا.

قلت له: أنت يعني أنظر إلى حاجته، الاستمنا ليس كبيرة من الكبائر أولا والأمر

الآخر الذي يستمني يشعر أن الله لا يراه.

فعمق مراقبة الله تعالى فيه.

أنت الآن أب وعندك زوجة وحاجتك موجودة وتتكلم براحة اشعر بحال ولدك.

كان الله في عون الناس وفي عون الشباب وعون ما يرون في الطرقات.

المعصية للأسف للآن ما أسهلها.

فينبغي أن نراعي هذا الباب.

س : هل من السنة أن يغلق الرجل جميع الأبواب داخل البيت مثل باب الغرف والحمامات.

ج : لا من السنة أن تغطي الشيء المكشوف، أما الباب فأمره واسع.

والله تعالى اعلم

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين